

الإعراض عن دين الله خطره وعواقبه

إسلام محمود دريالة

الإعراض عن دين الله خطره وعواقبه

تأليف

إسلام محمود درباله



مقدمة

الله ﷻ هو خالقنا ورازقنا والمتفضل علينا بنعمه ، هو الذي ارتضى لنا دين الإسلام دينا ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣] .

وأخبر ﷻ أنه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران: الآية ٨٥]

فكيف -والله هو الخالق وهو الرازق والذي يعلم ما يصلحنا- نعرض عن دينه ﷻ ، أو يستهزئ البعض بشيء من شعائر دين ربنا الملك القدير، فنسمع عبارات قد لا يلقي البعض لها بالاً، لكنها عند الله كلمات خطيرة عظيمة؟!

فنسمع البعض يقول: لا نريد تطبيق الشريعة، وآخر يقول: أنا لن أطبق الشريعة الآن ولا فيما بعد، وآخر يقول: لا نريد هؤلاء المتدينين، وهو لا يريد هم، إلا أنهم يحملون شعار الدين، وثالث يقول: لن يكون الدين هو المصدر الوحيد للتشريع، ورابعة تقول: أنا لن أرثدي الحجاب؛ لأنه حرية شخصية، وخامسة تقول: لا يوجد في القرآن ما يوجب الحجاب، هذا مع أنها تقرأ آيات الحجاب.



تارة تجد إعراضاً عن تحكيم شرع الله ، وأخرى تجد إعراضاً عن شرع الله وتعاليمه في التعليم ، وأخرى تجد إعراضاً عن شرع الله ﷻ في تربية الأبناء ، وأخرى تجد إعراضاً عن شرع الله ﷻ في العلاقات الخارجية ، وتارة تجد إعراضاً عن شرع الله ﷻ في حجاب المرأة وملابسها ، وتارة تجد إعراضاً عن شرع الله في السياحة والاستثمارات الداخلية .

وهكذا نسمع عبارات تفيد الإعراض عن دين الله ﷻ بالليل وبالنهار ، تقشعر لها الأبدان وتدهش من هول وقعها العقول ، نسمع عبارات إما أن تجد فيها إعراضاً جزئياً عن دين الله أو إعراضاً كلياً . والإعراض الجزئي : كأن يكون معه أصل الإيمان ، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية .

أو إعراضاً كلياً : والإعراض الكلي : أن يعرض إعراضاً تاماً عن دين الله تعالى ، فلا يتعلمه ولا يعمل به ، ومن ذلك التولي عن طاعة الرسول والامتناع عن الاتباع كلياً ، والصدود عن قبول حكم الشريعة .

إن الأمر -تالله- خطيرٌ جلل عظيم الشرر ، كلمات قد يتساهل فيها البعض أو يقولها آخرون مزاحاً واستهزاءً ، ووقعها في الميزان عظيم ، وضررها على المجتمع جسيم ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعَفُ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة : الآية ٦٦] .



المقدمة

٧

رحماك يا الله وعفوك وغفرانك ، اللهم إنا نعوذ بك مما يقول هؤلاء ،
ونبرأ إليك من أفعالهم ، اللهم لا تعننا بغضبك وعقابك ، اللهم إنا
نبتغي مرضاتك .

إن عاقبة الإعراض عن دين الله ، والاستهزاء ، والسخرية ،
والضحك ، والهزربدين الله أمرٌ خطيرٌ عظيمٌ جلل .
إن من الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷺ :

- أن الإعراض عن دين الله ﷺ سببٌ في وقوع البلايا والمصائب ،
قال الله ﷻ : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾
[المائدة : ٤٩] .

- الإعراض عن دين الله ﷻ يفسد النفس ويفسد العالم ، قال ﷻ :
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٣] .

- الإعراض عن دين الله ﷻ سببٌ للضنك في الدنيا والآخرة ،
قال ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ
أَنتَ أَتَيْتَنَا فَتَبَايَعْنَا بِكَ وَالْيَوْمَ نُنْشِئُكَ . [طه : ١٢٣-١٢٦]

- المعرض عن دين الله ﷻ هو من أعظم الناس ظلماً ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
ذُكِّرَ بِبَايَعَتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ



يَفْقَهُوهُ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٨﴾ .

[الكهف : ٥٧-٥٨]

- من الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ : جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

[الكهف : ٥٧]

- ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ : انتقام الله - جل وعلا - من المعرض عن التذكرة ، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ . [السجدة : ٢٢]

- ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ : أن المعرض عن التذكرة مثله مثل الحمار ، قال ﷻ : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴾ ٤٩ ﴿ ٤٩ ﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ . [المدثر : ٤٩-٥٠]

- ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ : أن المعرض مُنذَرٌ بالصاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود ، قال ﷻ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ . [فصلت : ١٣]

- ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ : تقييض القرناء من الشياطين ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ .

[الزخرف : ٣٦]



المقدمة

٩

اللهم عفوك وغفرانك يا ذا الجلال والإكرام.

ألم تر إلى أولئك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ ﴿٦١﴾؟ [النساء: الآية ٦١]

ألم تر إلى أولئك وهم يدعون إلى كتاب الله ثم يعرضون عنه؟
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ [آل عمران: الآية ٢٣]

ألم تر إلى أولئك: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾؟

يا قومنا إن الأمر خطير جلل أنذرتكم النار ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١٦﴾.

أنذرتكم العذاب ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَاثِتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٧].

إني لكم من الناصحين وعليكم من المشفقين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ [الأنفال: الآية ٢١].



المقدمة

١٠

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ ﴿١٠٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِٖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ ﴿١٠١﴾﴾

[طه: الآية ١٠١].

اللهم غفرانك غفرانك، اللهم لا تعمنا بغضبك وعقابك، اللهم ردنا إلى دينك وشرعك ردًا جميلًا، واحشرنا مع خير خلقك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

* * *



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

١١

الإعراض في اللغة

قال في «المصباح المنير»: «أعرضت عنه، أي: أضربت ووليت عنه، أي: أخذت عرضاً، أي: جانباً غير الجانب الذي هو فيه»^(١).
وقال الراغب في «المفردات»: «وإذا قيل: أعرض عني، فمعناه ولى مبدئياً عرضه»^(٢).

الإعراض في الاصطلاح

المقصود بالإعراض هنا إما الإعراض الكلي أو الإعراض الجزئي.
أما الإعراض الكلي فهو: الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، وهو التولي عن طاعة الرسول والامتناع عن الاتباع والصدود عن قبول حكم الشريعة.
أما الإعراض الجزئي فهو: أن يكون معه أصل الإيمان، لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية^(٣).

(١) المصباح المنير (٤٧٨).

(٢) المفردات (٤٩٥).

(٣) نواقض الإيمان القولية والعملية ص (٣٤٥-٣٤٦).



التولي، الصدود، الصدوف، الانصراف

ومن الألفاظ المرادفة للإعراض، وجاءت في القرآن التولي، الصدود، الصدوف، الانصراف.

أما التولي: فيقال: وَلَّى الشيءَ وتَوَلَّى: أدبر، وولى عنه: أعرض عنه أو نأى^(١).

وأما الصدود: الصَّدُّ: الإعراض والصدوف، صد عنه يَصُدُّ صَدًّا وُصُدودًا: أعرض، ويقال صَدَّه عن الأمر يصدُّه صَدًّا؛ منعه وصرَّفه عنه^(٢).

وأما الصدوف: الصُّدُوفُ: الميل عن الشيء، وأصدفني عنه كذا وكذا أي أمالني. وَصَدَفَ عنه يَصْدِفُ صدْفًا وصدوفًا عَدَلًا، وأصدَفَه عنه: عدل به.

وَصَدَفَ عني أي أعرض وقوله ﷺ: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧] أي: يعرضون، وقال أبو عبيد: صدف ونكَبَ إذا عدل^(٣).

(١) لسان العرب (٦/٤٩٢٥).

(٢) لسان العرب (٤/٢٤٠٩).

(٣) لسان العرب (٤/٢٤١٦).



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

١٣

وأما الانصراف: الصَّرَفُ: رد الشيء عن وجهه، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فانصرف، وصَارَفَ نَفْسَهُ عن الشيء: صَرَفَهَا عَنْهُ.
وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ [التوبة: ١٢٧] أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا فيه، وقيل: انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا.
﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧] أي: أضلهم الله مجازاةً على فعلهم^(١).

أنواع الإعراض

والإعراض نوعان:

- ١- «الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، وهو التولي عن طاعة الرسول، والامتناع عن الاتباع، والصدود عن قبول حكم الشريعة»^(٢).
- ٢- الإعراض الجزئي: «كأن يكون معه أصل الإيمان لكنه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية»^(٣).

(١) لسان العرب (٤/٢٤٣٤).

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية ص (٣٤٥-٣٤٦).

(٣) نواقض الإيمان القولية والعملية ص (٣٤٦).



الفرق بين المعرض والعاجز

يقول ابن القيم رحمه الله في بيان الفرق بين المعرض المفرط وبين العاجز:
«كل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فل ابد أن
يقول يوم القيامة: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُبْسَ الْقَرِينُ﴾
[الزخرف: ٣٨] .

فإن قيل: فهل لهذا عذر في ضلاله إذا كان يحسب أنه على هدى، كما
قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٠] .

قيل: لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الإعراض
عن الوحي الذي جاء به الرسول صلوات الله عليه، ولو ظن أنه مهتدٍ، فإنه مفرط
بإعراضه عن اتباع داعي الهدى، فإذا ضل فإنما أتي من تفريطه
وإعراضه، وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن
الوصول إليها، فذاك له حكم آخر، والوعيد في القرآن إنما يتناول
الأول»^(١).

(١) مفتاح دار السعادة (١/٤٣).



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

١٥

مجانبة الاستنكاف والاستكبار والمعاندة

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في معنى الإيمان: «الإيمان بالله: أن توحيده، وتصديق به بالقلب واللسان، وتخضع له ولأمره، بإعطاء العزم للأداء لما أمره، مجانبا للاستنكاف، والاستكبار والمعاندة، فإذا فعلت ذلك لزممت محابه واجتنبت مساخطه.

إلى أن قال: «وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به، وتصديقك إياه، واتباعك ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به، أدت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات»^(١).

من أقوال أهل العلم عن الإعراض وخطره

يقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ:

«وأما من أعرض عن الهدى ودين الحق ولم يرفع به رأسا بعد معرفته، أو مع تمكنه من معرفته، فالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية دالة على دخول هؤلاء في الوعيد.

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٢/ ٣٩٣).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

١٦

قال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]»^(١).

ويقول د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف: «الإعراض عن دين الله وشرعه هو حقيقة النفاق»^(٢).

* * *

(١) منهج التأسيس ص (٢٢٧/٢٢٨).

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية.



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

١٧

بيان خطورة الإعراض عن دين الله من آيات الكتاب العزيز



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

١٨



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

١٩

﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾

قال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: الآية ٦١] .

يقول ابن القيم حول هذه الآية: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والالتفات إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه، والتسليم لما حكم به رضى واختياراً ومحبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق»^(١).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عن الآية السابقة: «والآية ناطقة بأن من صدَّ وأعرض عن حكم الله ورسوله عمداً، ولا سيما بعد دعوته إليه وتذكيره به، فإنه يكون منافقاً لا يعتد بما يزعمه من الإيمان، وما يدعيه من الإسلام»^(٢).

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٥٣).

(٢) تفسير المنار (٥/٢٢٧).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢٠

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

قال ﷺ: ﴿أَمَرَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [آل عمران: الآية ٢٣] .

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى المتمسكين فيما يزعمون بكتايبهم اللذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد»^(١).

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

[النور: ٤٧-٥٠].

(١) تفسير ابن كثير (١٢/٣٣٦).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢١

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حَالَةِ الظَّالِمِينَ، مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَضَعْفٌ إِيْمَانٍ، أَوْ نِفَاقٌ وَرِيْبٌ وَضَعْفٌ عِلْمٍ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَلْتَزِمُونَ الْإِيْمَانَ بِاللَّهِ وَالطَّاعَةَ، ثُمَّ لَا يَقُومُونَ بِمَا قَالُوا، وَيَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ تَوَلِّيًّا عَظِيمًا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ فَإِنَّ الْمُتَوَلَّى، قَدْ يَكُونُ لَهُ نِيَّةُ عُودٍ وَرُجُوعٍ إِلَى مَا تَوَلَّى عَنْهُ، وَهَذَا الْمُتَوَلَّى مُعْرِضٌ، لَا التَّفَاتُ لَهُ، وَلَا نَظَرَ لَمَّا تَوَلَّى عَنْهُ، وَتَجِدُ هَذِهِ الْحَالَةَ مُطَابِقَةً لِحَالِ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَدْعِي الْإِيْمَانَ وَالطَّاعَةَ لِلَّهِ وَهُوَ ضَعِيفُ الْإِيْمَانِ، وَتَجِدُهُ لَا يَقُومُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، خُصُوصًا: الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَشَقُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ، كَالزَّكَاةِ، وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: إِذَا صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحَدٍ حُكْمَةٌ، وَدُعُوا إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَإِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ يَرِيدُونَ أَحْكَامَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيَفْضَلُونَ أَحْكَامَ الْقَوَانِينِ غَيْرَ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، لَعَلَّهُمْ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الشَّرْعَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِمَا يَطَابِقُ الْوَاقِعَ، ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ﴾ أَي: إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَجْلِ أَنَّهُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَجْلِ مُوَافَقَةِ أَهْوَائِهِمْ، فَلَيْسُوا مَمْدُوحِينَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَلَوْ أَتَوْا إِلَيْهِ مَذْعَنِينَ، لِأَنَّ الْعَبْدَ حَقِيقَةً، مَنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ فِيمَا يَحِبُّ وَيَكْرَهُ، وَفِيمَا يَسْرُهُ وَيَحْزَنُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَتَّبِعُ الشَّرْعَ عِنْدَ مُوَافَقَةِ هَوَاهُ، وَيَنْبِذُهُ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ، وَيَقْدِمُ الْهَوَى عَلَى الشَّرْعِ، فَلَيْسَ



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢٢

بعبد على الحقيقة، قال الله في لومهم على الإعراض عن الحكم الشرعي :
﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: علة، أخرجت القلب عن صحته وأزالت
حاسته، فصار بمنزلة المريض، الذي يعرض عما ينفعه، ويقبل على ما
يضره، ﴿أَمْ أَرْتَابُونَ﴾ أي: شكوا، وقلقت قلوبهم من حكم الله
ورسوله، واتهموه أنه لا يحكم بالحق، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولَهُ﴾ أي: يحكم عليهم حكما ظالما جائرا، وإنما هذا وصفهم ﴿بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وأما حكم الله ورسوله، ففي غاية العدالة والقسط، وموافقة
الحكمة. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: الآية ٥٠] وفي هذه
الآيات دليل على أن الإيمان ليس هو مجرد القول حتى يقترب به العمل،
ولهذا نفى الإيمان عمن تولى عن الطاعة، ووجوب الانقياد لحكم الله
ورسوله في كل حال، وأن من لم ينقله دل على مرض في قلبه، وريب في
إيمانه، وأنه يحرم إساءة الظن بأحكام الشريعة، وأن يظن بها خلاف
العدل والحكمة^(١).

(١) تفسير السعدي (٥/٤٣٣-٤٣٥).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢٣

﴿عَمَّا أَنْذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنْذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٣] .

قال ابن كثير رحمته الله: «أي: لاهون عما يراد بهم، وقد أنزل إليهم كتابا وأرسل إليهم رسولا، وهم معرضون عن ذلك كله، أي: وسيعلمون غب ذلك»^(١).

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾

وقال ﷻ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنْذُرُ ﴿٥﴾ [القمر: ٢-٥] .

«وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يُعْرِضُوا﴾ أي: لا ينقادون له، بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم، ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ أي: ويقولون: هذا الذي شاهدناه من الحجب، سحرٌ سحرنا به .

ومعنى ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب . قاله مجاهد، وقتادة، وغيرهما،

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨٤) .



أي: باطل مضمحل، لا دوام له.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القمر: الآية ٣] أي: كذبوا بالحق إذ جاءهم، واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهوائهم من جهلهم وسخافة عقلهم.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال قتادة: معناه: أن الخير واقع بأهل الخير، والشر واقع بأهل الشر.

وقال ابن جريج: مستقر بأهله. وقال مجاهد: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: يوم القيامة.

وقال السدي: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: واقع.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من الأخبار عن قصص الأمم المكذبين بالرسول، وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب، مما يتلى عليهم في هذا القرآن، ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ أي: ما فيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب.

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ يعني: أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة، وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٩] ، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢٥

يُؤْمِنُونَ ﴿يُونُسُ: الآية ١٠١﴾^(١).

﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾

وقال سبحانه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤-١٦].

قال الشوكاني رحمه الله: «لا يصلاحها إلا الأشقى، أي: يصلاحها صلياً لازماً على جهة الخلود إلا الأشقى وهو الكافر، وإن صليها غيره من العصاة فليس صليها كصليها . . .».

ثم وصف الأشقى فقال: «الذي كذب وتولى، أي: كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض عن الطاعة والإيمان»^(٢).

قال القرطبي رحمه الله: «وتولى، أي: أعرض عن الإيمان»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣٣٥٢).

(٢) فتح القدير (٤٥٣/٥).

(٣) تفسير القرطبي (٨٦/٢٠).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢٦

﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾

وقال ﷺ: «وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾» [التوبة: الآية ١٢٧] .

يقول ابن كثير رحمه الله: «هذا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله ﷺ، أي: تلفتوا، أي: تولوا عن الحق وانصرفوا، وهذا حالهم في الدنيا لا يثبتون عند الحق، ولا يقبلونه ولا يفهمونه لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥١﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥٢﴾﴾ [المذثر: ٤٩-٥١]» (١) .

﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧] .

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٥) .



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٢٧

قال الشوكاني رحمه الله: «قوله ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا عن طاعة الله وإخراج صدقات ما أعطاهم الله من فضله، والحال أنهم معرضون في جميع الأوقات قبل أن يعطيهم الله ما أعطاهم من الرزق وبعده، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: فأعقبهم الله بسبب البخل الذي وقع منهم والإعراض نفاقًا كائنًا في قلوبهم متمكنًا منها، مستمرًا فيها»^(١).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَصَدَفَ عَنْهَا﴾

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فذكر سبحانه أنه يجزي الصادف عن آياته مطلقًا سواء كان مكذبًا أو لم يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون، يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعًا لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر، وقد يكون كافرًا من لا يكذبه إذا لم يؤمن به»^(٢).

(١) فتح القدير (٢/ ٣٨٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٥٦).



﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣].

قال السعدي رحمه الله: «﴿ثُمَّ﴾ بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل، عرف أن من إحسان الله على عباده أن أمرهم بها، وتفضل بها عليهم وأخذ المواثيق عليكم ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ على وجه الإعراض، لأن المتولي قد يتولى، وله نية رجوع إلى ما تولى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع في هذه الأوامر، فنعوذ بالله من الخذلان.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلا منهم، عصمهم الله وثبتهم»^(١).

(١) تفسير السعدي (١/ ١٠٤-١٠٥).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٢٩

﴿وَأِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ
أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾
[النساء: الآية ١٣٥] .

«أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم خفيها وجليها، وفي هذا تهديد
شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم
بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرماً، لأن الأولين تركا الحق،
وهذا ترك الحق وقام بالباطل»^(١).

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

﴿وَمَا تَأْنِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾
[الأنعام: الآية ٤] .

«قوله تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين: إنهم مهما أوتتهم

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٣٤).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٠

﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: دلالة ومعجزة وحجة، من الدلالات على وحدانية الرب ﷻ، وصدق رسله الكرام، فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها»^(١).

﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: تتركوا طاعته وامتنال أوامره وترك زواجه، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: بعد ما علمتم ما دعاكم إليه»^(٢).

وقال السعدي في تفسير الآيات: «لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون معيته فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بامتنال أمرهما واجتناب نهيهما.

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٢٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٥٦٣).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣١

﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله وطاعة رسوله، ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما يتلى عليكم من كتاب الله وأوامره، ووصاياه ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ورسوله.

فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

ثم يقول ﷺ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ من لم تفد فيهم الآيات والنذر وهم ﴿أَصُمُّ﴾ عن استماع الحق ﴿أَبْكُم﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما ينفعهم ويؤثرونه على ما يضرهم.

فهؤلاء شر عند الله من شرار الدواب؛ لأن الله أعطاهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا بذلك الخير الكثير، فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البرية، فأبوا هذا الطريق واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية.

والسمع الذي نفاه الله عنهم سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما سمع الحجة فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السماع النافع؛ لأنه لم يعلم فيهم خيراً يصلحون به لسماع آياته.



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٢

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ على الفرض والتقدير،
﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة، ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ لا التفات لهم إلى الحق بوجه
من الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا عمن
لا خير فيه، والذي لا يزكو لديه، ولا يثمر عنده، وله الحمد تعالى
والحكمة في هذا»^(١).

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٥] .

«ينخر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل
توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات
ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في
الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات، وبحار
زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء
وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات، في الطعوم
والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع

(١) تفسير السعدي (٣/ ١٥٤-١٥٦).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٣

المخلوقات، المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات»^(١).

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ ﴿١٠٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ ﴿١٠١﴾ [طه: ٩٩-١٠١].

«يُمَتِنُ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ بِمَا قَصَصَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ السَّابِقِينَ، وَأَخْبَارِ السَّالِفِينَ، كَهَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا، الَّتِي لَا يَنْكُرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَأَنْتَ لَمْ تَدْرُسْ أَخْبَارَ الْأَوَّلِينَ، وَلَمْ تَتَعَلَّمْ مِمَّنْ دَرَاها، فَأَخْبَارُكَ بِالْحَقِّ الْيَقِينِ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَمَا جِئْتَ بِهِ صَدَقَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا﴾ أَيُّ: عَطِيَّةٍ نَفِيسَةٍ، وَمَنْحَةٍ جَزِيلَةٍ مِنْ عِنْدِنَا. ﴿ذِكْرًا﴾ وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، ذَكَرَ لِلْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ وَالْآخِرَةِ، وَذَكَرَ يَتَذَكَّرُ بِهِ مَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ، وَيَتَذَكَّرُ بِهِ أَحْكَامَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَأَحْكَامَ الْجَزَاءِ، وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَحْكَامِ، الَّتِي تَشْهَدُ الْعُقُولُ وَالْفُطْرُ بِحُسْنِهَا وَكَمَالِهَا، وَيَذَكِّرُ هَذَا الْقُرْآنُ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا، وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ ذَكَرًا لِلرَّسُولِ وَلِأُمَّتِهِ فَيَجِبُ تَلْقِيهِ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٦٤).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٤

بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يقبلوا عليه بالتعلم والتعليم».

وأما مقابله بالإعراض، أو ما هو أعظم منه من الإنكار فإنه كفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة، ولهذا قال: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ وهو ذنبه، الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهِ﴾ أي: في وزرهم؛ لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها.

﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ أي: بس الحمل الذي يحملونه، والعذاب الذي يعذبونه يوم القيامة^(١).

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾. [الأنبياء: الآية ٢٤]

«هجن عك حال المشركين، وأنهم اتخذوا من دونه آلهة فقال لهم موجئاً

(١) تفسير السعدي ص(٥١٢).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٥

ومقرعا: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلا بل قد قامت الأدلة القطعية على بطلانه، ولهذا قال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَىٰ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ أي: قد اتفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم من إبطال الشرك، فهذا كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلتها العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها براهين وأدلة لما قلت.

ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على بطلان ما ذهبوا إليه علم أنه لا برهان لهم؛ لأن البرهان القاطع يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعياً، وإن وجد في معارضات، فإنها شبه لا تغني من الحق شيئاً.

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليداً لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لحفائه وغموضه، وإنما ذلك لإعراضهم عنه، وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات لتبين لهم الحق من الباطل تبيناً واضحاً جلياً؛ ولهذا قال: ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١).

(١) تفسير السعدي (٥/ ٢٢٢-٢٢٣).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٦

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِمُ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝﴾ . [الشعراء: ٦٠، ٥]

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾ يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم ما ينفعهم ويضرهم. ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] بقلوبهم وأبدانهم، هذا إعراضهم عن الذكر المحدث، الذي جرت العادة أنه يكون موقعه أبلغ من غيره، فكيف بإعراضهم عن غيره؟ وهذا لأنهم لا خير فيهم، ولا تنجع فيهم المواعظ، ولهذا قال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ [الأنعام: ٥] أي: بالحق، وصار التكذيب لهم سجية، لا تتغير ولا تبدل^(١).

﴿فَاعْرِضُوا﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِّنْ رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِمَ بَلَدَهُ طَيِّبَةً رَبُّ غَفُورٌ ۝ فَاعْرِضُوا فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ . [سبأ: ١٥-١٦]

(١) تفسير السعدي (٥/ ٥٠٥).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٧

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قوله: ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ [النساء: الآية ١٦] أي: عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس»^(١).

وقال السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها، حتى إنهم طلبوا وتمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى، التي كان السير فيها متيسراً»^(٢).

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ٤ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٥ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾. [الأنعام: ٤-٦]

(١) تفسير ابن كثير (٥٠٣/٦).

(٢) تفسير السعدي (٦٧٧).



«يقول تعالى مخبراً عن المشركين المكذبين المعاندين: إِنَّهُمْ مَهْمَا أَتَيْتَهُمْ ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أَي: دلالة ومعجزة وحجة، من الدلالات على وحدانية الرب ﷻ، وصدق رسله الكرام فإنهم يعرضون عنها، فلا ينظرون فيها ولا يبالون بها.

قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهذا تهديد لهم ووعد شديد على تكذيبهم بالحق، بأنه لا بد أن يأتيهم خبر ما هم فيه من التكذيب، وليجدن غبه، وليذوقن وبالَه. ثم قال تعالى واعظاً ومخبراً لهم أن يصيبهم من العذاب والنكال الدنيوي ما حلّ بأشباههم ونظرائهم من القرون السالفة الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر جمعاً، وأكثر أموالاً وأولاداً واستغلاًلاً للأرض وعمارة لها، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنُوا لَهُمْ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَعْمَارِ، وَالْجَاهِ الْعَرِضِ، وَالسَّعَةِ وَالْجُنُودِ، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا﴾ أَي: شيئاً بعد شيء، ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ﴾ أَي: أكثرنا عليهم أمطار السماء ونبابيع الأرض، أَي: استدراجاً وإملاءً لهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَوْمَهُمْ﴾ أَي: بخطاياهم وسيئاتهم التي اجتروها، ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أَي: فذهب الأولون كأمس الذاهب وجعلناهم أحاديث، ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ أَي: جيلاً آخر لنختبرهم، فعملوا مثل أعمالهم فهلكوا كهلاكهم فاحذروا أيها المخاطبون أن يصيبكم مثل ما أصابهم،



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٣٩

فما أنتم بأعزّ على الله منهم، والرّسول الذي كذّبتموه أكرم على الله من رسولهم، فأنتم أولى بالعذاب ومعالجة العقوبة منهم، لولا لطفه وإحسانه»^(١).

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ . [ص: ٦٧-٦٨]

﴿قُلْ﴾ لهم خوفاً ومحذراً، ومنهضاً لهم ومنذراً: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: الآية ٦٧] أي: ما أنبأتكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله.

ولكن ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ كأنه ليس أمامكم حساب ولا عقاب ولا ثواب، فإن شككتكم في قولي، وامترتكم في خبري فإني أخبركم بأخبار لا علم لي بها ولا درستها في كتاب، فأخباري بها على وجهها من غير زيادة ولا نقص أكبر شاهد لصدقي، وأدل دليل على حق ما جئتكم به»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٧٣-٣٧٤).

(٢) تفسير السعدي (٦/٤٣٧).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٤٠

﴿فَاعْرُضْ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾

﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَاعْرُضْ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَعْمَلُونَ ٥﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ١-٥]

«يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل ﴿تَنْزِيلٌ﴾ صادر ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ٢] الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين.

ثم أثنى على الكتاب بتمام البيان فقال: ﴿فُصِّلْتُ ءَايَتُهُ﴾ أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فصلت آياته وجعل عربيًّا. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والغبي من الرشاد.



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٤١

وأما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالاً ولا البيان إلا عمى فهو لاء لم يسق الكلام لأجلهم، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: بشيراً بالثواب العاجل والآجل، ونذيراً بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما، وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والنذارة، وهذه الأوصاف للكتاب مما يوجب أن يتلقى بالقبول، والإذعان، والإيمان، والعمل به، ولكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعاً، تقوم عليهم به الحجة الشرعية.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: هؤلاء المعرضون عنه ميين عدم انتفاعهم به بسد الأبواب الموصلة إليه: ﴿قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ أي: أغطية مغشاة ﴿وَمَا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ أي: صمم فلا نسمع لك ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ فلا نراك.

القصد من ذلك أنهم أظهروا الإعراض عنه من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ أي: كما رضيت بالعمل بدينك فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٤٢

الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا»^(١).

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ [الشورى: الآية ٤٨]

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عما جئتهم به بعد البيان التام ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم وتسأل عنها، ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ فإذا أدت
ما عليك، فقد وجب أجرك على الله، سواء استجابوا أم أعرضوا،
وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها، وظاهرها
وباطنها»^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٣]

قال ابن كثير: «أي: لاهون عما يراد بهم، وقد أنزل إليهم كتابًا

(١) تفسير السعدي (٦/٥٥٧-٥٥٩).

(٢) تفسير السعدي (٦/٦٢٨).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٤٣

وأرسل إليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله ، أي : وسيعلمون غب ذلك»^(١).

وقال السعدي : أخبر الله أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضاً عن الحق ، وصدوقاً عن دعوة الرسل ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف : الآية ٣] وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم ، وتلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالانقياد والتعظيم ففازوا بكل خير ، واندفع عنهم كل شر^(٢).

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

قال ﷺ : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء : ٦٥] .
قوله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾
يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة : أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ؛ ولهذا قال : ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨٤).

(٢) تفسير السعدي (٧/ ٣٧).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٤٤

أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة»^(١).

﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّهُ وَمَا نَهَكُمُّ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾

وقال ﷺ: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّهُ وَمَا نَهَكُمُّ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾

[الحشر: ٧].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر»^(٢).

﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

وقال ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: «فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٦٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٧٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨١٧).



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٤٥

الآثار السيئة للإعراض

عن

دين الله وشرعه



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٤٦



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٤٧

الإعراض عن دين الله ﷻ سببٌ في وقوع البلايا والمصائب

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله وشرعه: الوقوع في البلايا والمصائب.

قال ﷻ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضَ ذُنُوبِهِمْ﴾.

[المائدة: الآية ٤٩]

قال السعدي: «﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران: الآية ٣٢] عن اتباعك واتباع الحق ﴿فَأَعْلَمْ﴾ [محمد: الآية ١٩] أن ذلك عقوبة عليهم وأن الله يريد ﴿أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضَ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: الآية ٤٩] فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلى العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه»^(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ ۖ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾.

(١) تفسير السعدي (٢/ ٣٠٢-٣٠٣).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٤٨

الإعراض عن الدين يفسد النفس ويفسد العالم

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: فساد النفس،
وفساد العالم.

قال ﷻ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٣].

قال البيضاوي: «التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفسادٌ
للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس، بل وإلى فساد العالم»^(١).

الإعراض سببٌ للزنى في الدنيا والآخرة

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: حصول
الزنى في الدنيا والآخرة.

قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ
أُتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [١٢٦] [طه: ١٢٣-١٢٦].

(١) تفسير البيضاوي (١/١٦٥).



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٤٩

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية حول الآية:

«من أعرض عنه -أي: الوحي- وإن لم يكذب به فإنه يكون يوم القيامة في العذاب المهين، وأن معيشته تكون ضنكاً في هذه الحياة، وفي البرزخ والآخرة، وهي المصنوعة النكدة المحشوة بأنواع الهموم والغموم والأحزان كما أن الحياة الطيبة هي لمن آمن وعمل صالحاً».

إلى أن قال: «وقد أمر آدم وبنوه من حيث أهبط باتباع هداه الذي يوحيه إلى الأنبياء، فثبت أن علة الشرك كان من ترك اتباع الأنبياء والمرسلين فيما أمروا به من التوحيد والدين»^(١).

ويقول ابن كثير: «قوله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ [طه: الآية ١٢٤] أي: خالف أمري وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤] في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره، بل صدره ضيق حرج ل ضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلقٍ وحيرةٍ وشكٍ، فلا يزال في ريبه يتردد»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (١٠٧/٢٠) باختصار.

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٤/٣).



المعرض عن دين الله وآياته أعظم الناس ظلماً

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: كون المعرض عن دين الله وآياته أعظم الناس ظلماً .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٧ - ٥٨] .

قال السعدي في تفسيره: «يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، من عبد ذكر بآيات الله وبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخوف ورهب ورغب فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسي ما قدمت يده من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلماً من المعرض الذي لم تأت آيات الله ولم يذكر بها، وإن كان ظالماً، فإنه أخف ظلماً من هذا؛ لكون العاصي على بصيرة وعلم أعظم ممن ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته، ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها أن سد عليه أبواب الهداية بأن جعل على قلبه أكنة، أي: أغطية محكمة



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٥١

تمنعه أن يفقه الآيات وإن سمعتها ، فليس في إمكانها الفقه الذي يصل إلى القلب ، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: الآية ٢٥] أي : صمما يمنعهم من وصول الآيات ، ومن سماعها على وجه الانتفاع وإذا كانوا بهذه الحالة ، فليس لهدايتهم سبيل ، ﴿وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: الآية ٥٧] لأن الذي يرجى أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالما ، وأما هؤلاء الذين أبصروا ثم عموا ، ورأوا طريق الحق فتركوه ، وطريق الضلال فسلكوه ، وعاقبهم الله بإقفال القلوب والطبع عليها فليس في هدايتهم حيلة ولا طريق ، وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه ، ولا يتمكن منه بعد ذلك ، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك .

ثم أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته ، وأنه يغفر الذنوب ، ويتوب الله على من يتوب ، فيتغمده برحمته ، ويشمله بإحسانه ، وأنه لو أخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب لعجل لهم العذاب ، ولكنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة ، بل يمهل ولا يهمل ، والذنوب لا بد من وقوع آثارها ، وإن تأخرت عنها مدة طويلة ، ولهذا قال :

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا﴾ [الكهف: الآية ٥٨] أي : لهم موعد ، يجازون فيه بأعمالهم ، لا بد لهم منه ، ولا مندوحة لهم عنه ، ولا ملجأ ، ولا محيد عنه ، وهذه سنته في الأولين والآخرين ، أن لا يعاجلهم بالعقاب ، بل يستدعيهم إلى التوبة والإنابة ، فإن تابوا وأنبأوا غفر لهم



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٥٢

ورحمهم، وأزال عنهم العقاب، وإلا فإن استمروا على ظلمهم وعنادهم، وجاء الوقت الذي جعله موعداً لهم، أنزل بهم بأسه، ولهذا قال: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: الآية ٥٩] أي: بظلمهم، لا بظلم منا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: الآية ٥٩] أي: وقتاً مقدراً، لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون^(١).

جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق.

قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: الآية ٥٧]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها، أي: تناساها وأعرض عنها، ولم يُصغ لها، ولا ألقى إليها بالاً، أي: من الأعمال السيئة والأفعال القبيحة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي:

(١) تفسير السعدي (٥/ ٥٢-٥٤).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٥٣

قلوب هؤلاء ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ أي: أعطية وغشاوة، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ أي: لتلا يفهموا هذا القرآن والبيان، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ أي: صمم معنوي عن الرشاد، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾^(١).

انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة.

قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [السجدة: ٢٢].

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢١٧٤).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٥٤

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي: لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدتها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها.

قال قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكم والإعراض عن ذكر الله؛ فإن الإعراض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرّة، وأَعْوَزَ أَشَدَّ الْعَوَزة، وَعَظَمَ مِنْ أَعْظَمِ الذنوب.

ولهذا قال تعالى متهدداً من فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام»^(١).

المعرض عن التذكرة مثله مثل الحمار

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: كون المعرض عن التذكرة مثله مثل الحمار.

قال ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ .

[المدر: ٤٩-٥٠]

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٧٤).



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٥٥

قال ابن كثير: «أي: فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين ، أي: كأنهم في نفاقهم عن الحق وإعراضهم عنه حُمُرٌ من حُمُر الوحش إذا فرَّت ممن يريد صيدها من أسدٍ أو رامٍ»^(١).

الإنذار بالصاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: كون المعرض عن التذكرة مُنذَرٌ من الله بصاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود.

قال ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ١٣] .

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم كما جئتمكم به من عند الله فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم، كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين»^(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٦٦٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/٣٠٩٧).



تقييض القرناء من الشياطين

ومن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله ﷻ وشرعه: كون من أعرض عن شرع الله يقيض له القرناء من الشياطين.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ أي يتعامى ويتغافل ويعرض ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ والعشا في العين: ضعف بصرها والمراد هاهنا عشنا البصيرة، ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: الآية ٣٦] أي: هذا الذي تغافل عن الهدى نُقَيِّضْ له من الشياطين من يضلّه ويهديه إلى صراط الجحيم^(١).



(١) تفسير ابن كثير (٧/٣١٤٧).



الإعراض عن دين الله ... خطره وعواقبه

٥٧

الإعراض الكلي عن الدين

من نواقض الإيمان



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٥٨



الإعراض الكلي عن الدين من نواقض الإيمان

«المقصود بالإعراض الذي يعد ناقضاً من نواقض الإيمان العملية هو الإعراض التام عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، وهو التولي عن طاعة الرسول والامتناع عن الاتباع، والصدود عن قبول حكم الشريعة»^(١).

* يقول ابن القيم:

«أما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»^(٢).
أما وجه كون الإعراض الكلي من نواقض الإيمان فذلك لجملة اعتبارات منها:

١- أن الله تعالى نفى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دين الله ﷻ.

قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ [النور: ٤٧-٤٨].

(١) نواقض الإيمان القولية والاعتقادية ص (٣٤٥-٣٤٦).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٣٨).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٦٠

يقول ابن حزم: «هذه الآيات محكمات لم تدع لأحد علة يشغب بها، قد بين الله فيها صفة فعل أهل زماننا فإنهم يقولون: نحن المؤمنون بالله وبالرسول، ونحن طائعون لهما، ثم يتولى طائفة منهم بعد هذا الإقرار فيخالفون ما وردهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، أولئك بنص حكم الله تعالى ليسوا مؤمنين»^(١).

٢- «إذا كان الإيمان يتضمن طاعة وانقيادًا وتسليمًا وقبولًا واستجابةً وخضوعًا لدين الله تعالى فإن الإعراض يضاد ذلك وينافيه، فهو تول وصدود، وترك وامتناع، وهو إعراض عن الهدى وعدم إرادته والعمل به وبموجبه.

وقد تقرر عند أهل السنة أن الإيمان ليس تصديقًا قلبيًا فحسب، بل فيه من الخضوع والانقياد»^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا بد أن يقترن بالعلم في الباطن مقتضاه من العمل الذي هو المحبة والتعظيم والانقياد ونحو ذلك.

كما أنه لا بد أن يقترن بالخبر الظاهر مقتضاه من الاستسلام والانقياد لأهل الطاعة.

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/٩٢).

(٢) نواقض الإيمان (٣٥٣).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٦١

فهؤلاء الذي يعلمون الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يؤمنون به ،
ويقرون به يوصفون بأنهم كفار ، وبأنهم جاحدون ويوصفون بأنهم
مكذبون بألسنتهم ، وأنهم يقولون بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم .
وقد أخبر الله في كتابه أنهم ليسوا بمكذبين بما علموه أي مكذبين
بقلوبهم وإن لم يكونوا مؤمنين مقرين مصدقين .

إذا العبد يخلو في الشيء الواحد عن التصديق والتكذيب والكفر أعم
من التكذيب ، فكل من كذب الرسول كافر ، وليس كل كافر مكذباً ، بل
من يعلم صدقة ويقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر ، أو من
أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب»^(١) .

٣- «ذكر الله ﷻ أن الإعراض والتولي عن طاعة الله كفر»^(٢) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

[آل عمران : الآية ٣٢] .

قال ابن كثير : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ [آل عمران : الآية ٣٢] أي : تخلفوا عن أمره ، فإن
الله لا يحب الكافرين ، فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب
من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى

(١) التسعينية (١٦٦/٥) .

(٢) نواقض الإيمان (٣٥٤) .



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٦٢

يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقليين»^(١).

٤- «توعد الله ﷻ من أعرض وتولى بالصلي المطلق في النار، مما يدل على أن الإعراض عن دين الله والتولي عن طاعته كفر»^(٢).

قال ﷻ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ [الليل: ١٤-١٦].

يقول الشوكاني: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: الآية ١٥] أي: يصلها صلياً لازماً على جهة الخلود إلا الأشقى وهو الكافر، وإن صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه . . .».

ثم وصف الأشقى فقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ [الليل: الآية ١٦] أي: كذب بالحق الذي جاءت به الرسل، وأعرض عن الطاعة والإيمان»^(٣).

٥- «قرر القرآن أن الإعراض عن دين الله تعالى من صفات المنافقين، وأن التولي عن طاعته من النفاق»^(٤).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: الآية ٦١].

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٣٨).

(٢) نواقض الإيمان ص (٣٥٤).

(٣) فتح القدير (٥/٤٥٣).

(٤) نواقض الإيمان (٣٥٥).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٦٣

يقول ابن حزم: «فليتق الله -الذي إليه المعاد- امرؤ على نفسه ولتوجل نفسه عند قراءة هذه الآية، وليشتد إشفاقه من أن يكون مختاراً للدخول تحت هذه الصفة المذكورة المذمومة الموبقة الموجبة للنار، فإن من ناظر خصمه في مسألة من مسائل الديانة وأحكامها التي أمرنا بالتفقه فيها فدعاه خصمه إلى ما أنزل الله تعالى، وإلى كلام الرسول، فصده عنهما، ودعاه إلى قياس أو إلى قول فلان وفلان فليعلم أن الله ﷻ قد سماه منافقاً»^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الآية السابقة: «فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا، فالنفاق يثبت، ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره»^(٢).

* * *

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٩١).

(٢) الصارم المسلول (٣٣).



الإعراض عن دين الله . . . خطره وعواقبه

٦٤



الخاتمة

إن ما وضحناه فيما تقدم من خطورة الصدود والصدوف والإعراض عن شرع الله ومنهج الله وطاعة الله يوضح لنا أهمية العودة إلى دين الله والرجوع إلى طاعة الله والخضوع لشرع الله والإقبال على الكتاب والسنة وأهمية طاعة الله ﷻ في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتنا وأهمية التزام سنة رسول الله ﷺ في جميع أمور حياتنا حتى ننجو من غضب الله وحتى ننجوا من سخط الله ﷻ، وحتى ننجوا من عذاب الله ﷻ.

وهذا الرجوع يجب أن يكون رجوعاً بالقول، وبالعمل وبالاعتقاد علمً وعقيدة وشريعة ومنهج، في كل صغيرة وكبيرة وفي كل مجال من المجالات حتى ننال رضا الله ﷻ عنا كأفرادٍ وأسرٍ وجماعات ومجتمعات.

إنها طاعة الله ﷻ ظاهراً وباطناً، إنها طاعة الله أولاً وآخرًا، إنها طاعة الله في متابعة هدي نبيه ﷺ، إنها طاعة الله في عقائد القلوب، وفي أعمال الجوارح وفي أقوال اللسان.

فلنسارع إلى طاعة الله . . .



الخاتمة

٦٦

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٣﴾ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٤﴾﴾ [العصر: الآيات ١-٣] .

* * *



المحتويات

٥ مقدمة
١١ الإعراض في اللغة
١١ الإعراض في الاصطلاح
١٢ التولي، الصدود، الصدوف، الانصراف
١٣ أنواع الإعراض
١٤ الفرق بين المعرض والعاجز
١٥ مجانبة الاستنكاف والاستكبار والمعاندة
١٥ من أقوال أهل العلم عن الإعراض وخطره
١٧ بيان خطورة الإعراض عن دين الله من آيات الكتاب العزيز
١٩ ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾
٢٠ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾
٢٠ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾
٢٣ ﴿عَمَّا أَنْذَرُوا مُّعْرِضُونَ﴾
٢٣ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾
٢٥ ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾
٢٦ ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾
٢٦ ﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾
٢٧ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾
٢٨ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾



﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	٢٩
﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾	٢٩
﴿لَتَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾	٣٠
﴿يَمْرُوتَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾	٣٢
﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾	٣٣
﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾	٣٤
﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾	٣٦
﴿فَأَعْرِضُوا﴾	٣٦
﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾	٣٧
﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾	٣٩
﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	٤٠
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾	٤٢
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾	٤٢
﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	٤٣
﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	٤٤
﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْحَيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾	٤٤
الآثار السيئة للإعراض عن دين الله وشرعه	٤٥
سبب في وقوع البلايا والمصائب	٤٧
الإعراض عن الدين يفسد النفس ويفسد العالم	٤٨
الإعراض سبب للضنك في الدنيا والآخرة	٤٨
المعرض عن دين الله وآياته أعظم الناس ظلماً	٥٠
جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق	٥٢



المحتويات

٦٩

٥٣	انتقام الله جل وعلا من المعرض عن التذكرة
٥٤	المعرض عن التذكرة مثله مثل الحمار
٥٥	الإنذار بالصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
٥٦	تقييض القرناء من الشياطين
٥٧	الإعراض الكلي عن الدين من نواقض الإيمان
٥٩	الإعراض الكلي عن الدين من نواقض الإيمان
٦٥	الخاتمة
٦٧	فهرس المحتويات

* * *



هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net